المكتبة الخضراء للأطفال

٣٠

دنانير لبلبة



بقلم : يعقوب الشاروني

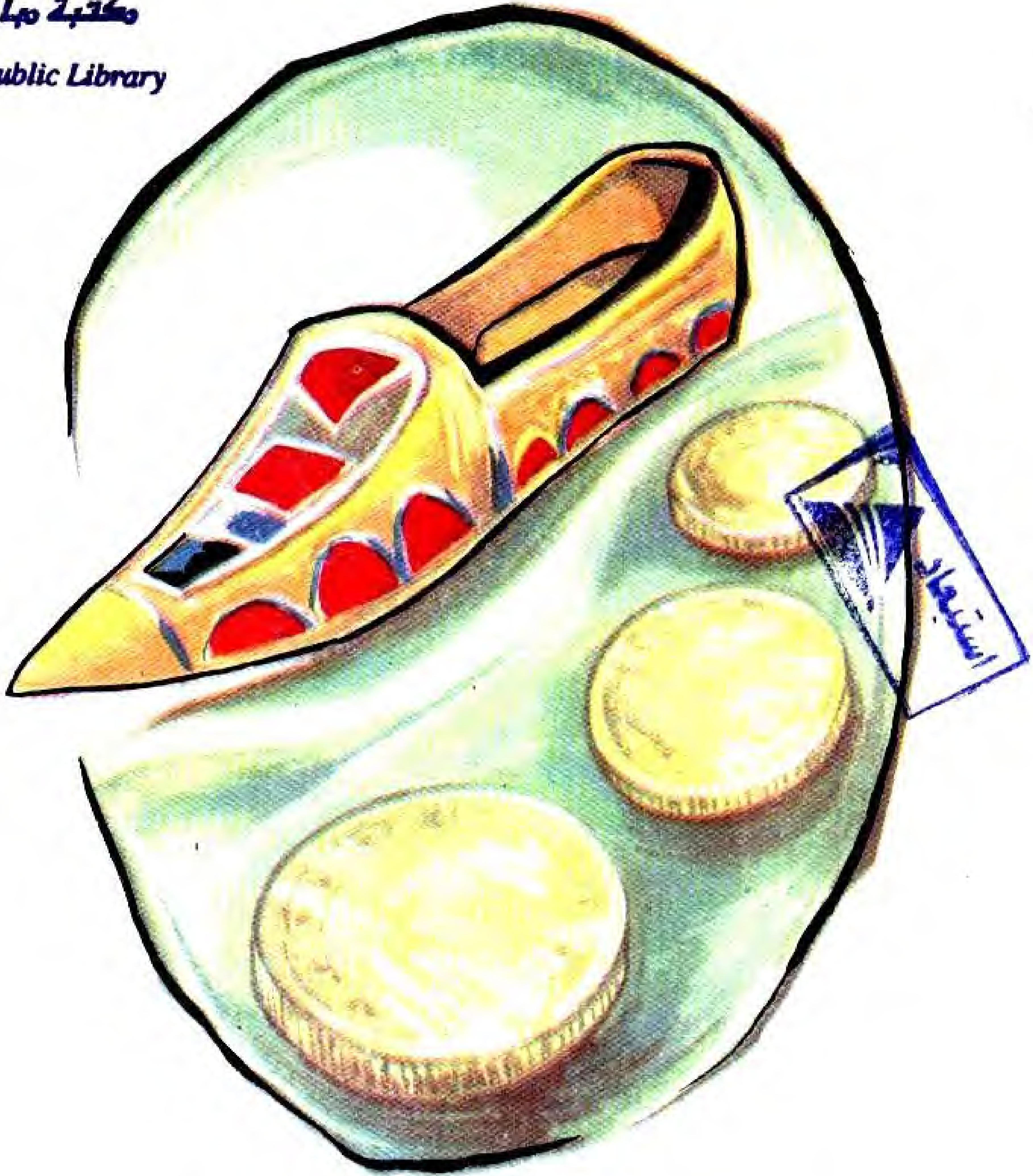
دار المعارف

قصص عربية

Arabic Stories

المكتبة الخضراء للأطفال

(٣٠)



دنانير لبلبة



يُحكَى أنَّه كَانتْ تُوجَد ثَلاثُ فَتياتٍ ، يعْملنَ فى خِدْمَةِ ثَرِىٍّ ، يَقْطُنُ فى مَنْزِلٍ كَبيرٍ ، بِهِ كُلُّ مَظَاهر التَّرفِ . وَلَمْ يَكُنْ لَدَى زَوجتِه إلا هؤُلاءِ الخَادِمَاتُ الثَّلاث ، لِذلِكَ كَانَ عَلَيهنَّ أَنْ يَقُمنَ بِالكَثِيرِ مِنَ الأَعْمَالِ .

وَكَانَ اسْمُ الفَتاةِ الكُبرَى « نَاعِسَة » . وَهى فَتاةٌ طَويلَةٌ ، ذَاتُ شَعْرٍ أَسْودَ ، وَوَجْناتٍ وَردِيَّة . وَكَانَ فى اسْتِطَاعَتِها القيامُ بِالكَثِيرِ مِنَ الأَعْمَالِ فى وَقْتٍ قَصِيرٍ لو أَرَادتْ ذلِكَ ، وَلكِنَّها لَمْ تكُنْ تَرْغبُ فى العَمَلِ عَادَةً ، لأَنَّها كَسْلانَةٌ .

وَكَانَ هَمُّها أَنْ تَقْضِىَ أَكثَرَ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى مَقْعدٍ فى الْمَطْبَخِ ، مُرْتَدِيَةً مَلاَبِسَ غيرَ مُنَظَّمةٍ وَلاَ نَظِيفَةٍ ، شَعْثَاءَ الشَّعْرِ ، حَافِيَةَ القَدَمَينِ . وَكَانَتْ تَقْضِى السَّاعَاتِ تَقْرأُ الْقِصَصَ ، وَتَحْكِى لِلْفَتاتَيْنِ الأُخرَيَيْنِ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَفْعَلَهُ لو أَنَّها أصْبَحَتْ غَنِيَّةً .

وَكَانَ اسْمُ الثَّانِيَةِ « جَمِيلَة » ، وَهى ذَاتُ وَجْهٍ



جَمِيل جِدًّا ، زَرْقَاءُ الْعَيْنَيْنِ ، ذَهَبِيَّةُ الشَّعْرِ ، ولكِنَّها كَانَتْ هي الأُخْرَى كَسُولاً تَكْرَهُ الْعَمَلَ .

وَلَمْ تَكُنْ تُهْمِلُ نَفسَها مِثْل « نَاعِسَة » ، بَلْ عَلَى العَكْسِ ، كَانَتْ مُغْرَمةً جدًّا بأَنْ تَرْتَدِيَ مَلاَبِسَ جَمِيلَةً ، وَبِأَنْ تقِفَ السَّاعَاتِ الطَّوِيلَةَ تَتَطلعُ إِلَى نَفْسِها فى الْمِرآةِ .

وَكَانَتْ تُنْفِقُ كُلَّ نُقُودهَا فى شِرَاء أَشيَاءَ جَمِيلَةٍ تَرْتَدِيها ،



مِثْل الزهُورِ الصِّناعيَّة ، وَشرائِط الشَّعْرِ والأَحْزِمَةِ ، وَالأوْشِحَةِ وَالعُقُودِ .

وَأحْيَاناً ، عندَما يَخْلو البَيْتُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، تَتسلَّلُ إِلَى غُرْفةِ سَيِّدَتِها ، فتَرْتَدِي أثْوابَها الفَاخِرَةَ الوَاحِدَ بَعْدَ الآخر ، وَتَتزيَّنُ بِحُلِيِّها الثَّمينَة ، ثُمَّ تَتمشَّى أمَامَ المِرْآةِ الكَبِيرَةِ مُعْجَبَةً بِنَفْسِها ، حتَّى لتَقْضِي فى كُلِّ مَرَّةٍ أكْثرَ مِنْ سَاعَةٍ ، وَهِي تَتَأمَّلُ صُورَتَها .

وَاعْتادَتْ « جَميلة » أَنْ تَقُولَ لِنَفْسِها : « إِنَّنِى أَجْمَلُ مِنْ أَنْ أَتحَمَّلَ مَشَاقَّ الْعَمَلِ . . كَانَ يَجبُ أَنْ أَكُونَ سَيِّدَةً غَنِيَّةً ، لاَ أَهتَمُّ بِأَنْ أَعْمل شَيْئاً . . بَلْ أَكْتفِى بِالْجلُوسِ ، وإِصْدَارِ الأَوَامِرِ لِلْخَدَمِ والأَتْباعِ » .

لِذَلِكَ فَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ « نَاعِسَة » و « جَمِيلَة » لَمْ تَكُونَا تَقُومَانِ إِلاَّ بِقَدْرٍ قَلِيلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمَنزِلِ الكَثِيرَةِ ، وَحتَّى مَا تَعْملانِهِ تُؤَدِّيانِهِ عَلَى أَسْوَإِ صُورَةٍ .

وَكَانَ مِنَ الْغَرِيبِ حقًّا أَلاَّ تطرُدَهُما سَيِّدَتُها ، وَلَوْ كَانَتْ تَعْلَمُ حَقِيقَتَهُما ، مَا تَأَخَّرتْ فى طَرْدِهِمِا . وَلكِنَّها ، مَعَ تَأْنِيبِها الْمُسْتمِرِّ لَهُما ، لَمْ تَكُنْ تُدْرِكُ قَطُّ أَنَّ فَسادَهُما وَصَلَ إِلَى دَرَجَةِ تَرْكِ مُعْظَمِ عَمَلِهِا لِيَقُومَ بِهِ شَخْصٌ آخَرُ . ذلِكَ أَنَّ خَادِمَتَها الثَّالِثَةَ والصُّغرَى ، هى الَّتِى كَانَتْ تَشْتَغِلُ طَوالَ الْوَقْتِ ، وَبِفَضْلِها كَانَ الْمَنزِلُ نَظِيفاً مُرَتَّباً عَلَى الدَّوامِ .

وَكَانَ اسْمُ هٰذِهِ الْخَادِمَةِ الثَّالِثَةِ « لِبْلِبَة » ، وإِنْ سمَّاهَا الْجَمِيعُ « لِبْلِبَة

الصَّغِيرَة » لِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ ضَآلَةِ حَجْمٍ ، وَنَحَافَةٍ وَشُحُوبٍ ، حَتَّى لَقَدْ بَدَتْ كَأَنَّهَا أَصْغَرُ مِنْ حَقِيقَتِهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَتْ تَقُومُ بِأَغْلَبِ أَعْمَالِ الْمَنْزِلِ ، إِذِ اعْتَادَتْ أَنْ تُؤَدِّيَ عَمَلَ زَمِيلَتَيْهَا ، بِالإِضَافَةِ إِلَى نَصِيبِهَا مِنَ الْعَمَلِ .



كَانَتْ تَشتَغِلُ طَوالَ النَّهارِ ، مِنَ الْفَجْرِ حتَّى مُنتَصَفِ اللَّيْلِ ، دُونَ أَنْ تَجِدَ دَقِيقَةً وَاحِدَةً تَهتَمُّ فِيها بِنَفْسِها ، كَانَتْ تُنَظِّفُ أَوْعِيَةَ الْمَطبَخِ ، وتَكْنُسُ الأَرْضَ وَتَمْسَحُ الحُجرَاتِ وتَغْسِلُ الأَوانِيَ والأَطبَاقَ ، وتَطْهُو الطَّعامَ وتُعِدُّ المَائِدَةَ ، وتُرَتِّبُ الأَثاثَ ، وتَحرِصُ أَنْ يَبْدُوَ المَنْزِلُ أَنِيقاً نَظِيفاً ، وتَسْهَرُ عَلَى تَلْبِيَةِ رَغَباتِ سَيِّدِها وسَيِّدَتِها .

لَمْ يَكُنْ لَهَا أَخٌ أَوْ أُختٌ ، وقَدْ فَقَدتْ أَباها وأُمَّهَا . وَلَمْ يَكُنْ لَها صَدِيقٌ فى الدُّنْيا سِوَى جَدَّتِها .

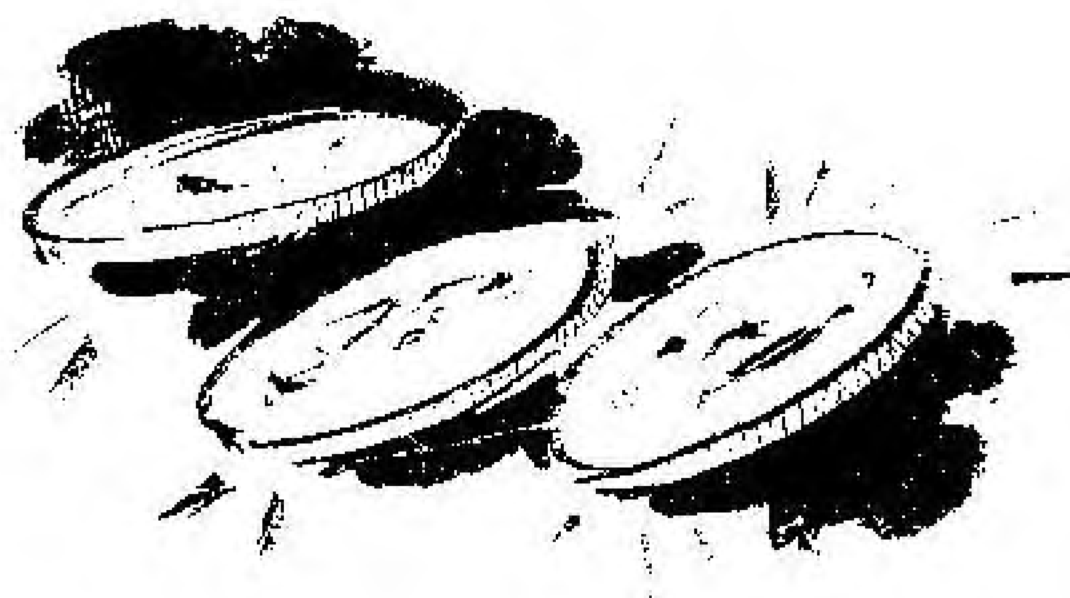
وجَدَّتُها سَيِّدَةٌ عَجُوزٌ فَقِيرَةٌ جِدًّا ، كَانَتْ تَعِيشُ فى كُوخٍ صَغِيرٍ قَديمٍ ، لاَ يَبْعُدُ كَثِيراً عَنْ المَدِينَةِ الَّتِى تَعْمَلُ بِهَا « لِبْلبة » .

لَمْ يَكُنِ الكُوخُ مَكَاناً صَالِحاً للسَّكَنَى ، لَكِنَّ جَدَّةَ لِبْلَبَة كَانَتْ مِنَ الفَقْرِ بِحَيْثُ لَمْ تَجِدْ مَكاناً أَفْضَل مِنه لِتَعِيشَ فِيهِ . كَانَتْ أَرْضِيَّتُهُ مِنَ التُّرابِ ، والشُّقُوقُ تَمْلأُ سَقْفَه وجُدْرَانَه ، والفِراشُ الَّذِى تَنَامُ عَلَيهِ المَرْأَةُ العَجُوزُ مُجرَّد كَوْمَةٍ مِنَ القَشِّ وغِطَاءٍ مُمزَّقٍ .

وكَانَتْ لِبْلَبَةُ الصَّغِيرَةُ تُعطِى جَدَّتَها كُلَّ مَا تَحصُلُ عَلَيه مِنْ نُقُودٍ ، أُسْبُوعاً بَعْدَ أُسْبُوعٍ . ولَكِنَّ ذَلِكَ لَم يَكُنْ كافِياً حَتَّى لِشِراءِ الخُبْزِ دُونَ غَيْرِه ، وكَثِيراً ما كَانَتْ لِبْلِبةُ تُحدِّثُ نَفْسَها قَائِلَةً : « كَمْ تَكُونُ الحَيَاةُ حُلْوةً ، إِذَا استَطَعتُ أَنْ أَعِيشَ مَعَ جَدَّتِى فى مَنْزِلٍ صَغِيرٍ جَمِيلٍ نَظِيفٍ ، تُحِيطُ بِهِ حَدِيقَةٌ أَقْطِفُ

مِنْها الورُودَ والأَزْهارَ كُلَّ صَباحٍ ، وأَنْ يَكُونَ لَدَيْنا قَلِيلٌ مِنَ النُّقُودِ لِشراءِ مَا نَحْتاجُ إِليه مِنْ مَلابِس ، وأَنْ نجِدَ دائِماً طعَاماً كَافِياً . لَوْ تحقَّق هذَا ، فَكمْ سَنَكُونُ رَاضِينَ سُعَداءَ ! ! » .

كَانَت هٰذِهِ هي أَمَـانِيُّ لِبْلِبَةَ الصَّغِيرَةِ فِى الحَيَاةِ ، ولكنَّها لَمْ تَجِدْ وَسِيلَةً يُمْكِنُ أَنْ تُحقِّقَ بِهَا أَحْلامَها وَأَمانِيَّهَا . ومَعَ ذٰلِكَ ظَلَّتْ تَعْملُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ ، وظَلَّتْ نَاعِسَةُ وجَمِيلَةُ تُواصِلاَنِ تَرْكَها لِتقُومَ بِنَصِيبِهَا مِنَ العَمَلِ ، ونَادِراً مَا تَمُدَّانِ إِليها يَدَ المُسَاعَدةِ . وكُلَّـمَا عَهِدَتْ إِلَيْها سَيِّدتُهُا بِعَملٍ شَاقٍّ أو مُهِمَّةٍ دَقِيقَةٍ فإِنَّها تَقُولانِ : « سَتَقُومُ لِبْلِبَةُ بِهٰذَا ، لِمَاذا نُرْهِقُ أَنْفُسنا بالعَملِ ما دَامَتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ بِكُلِّ الْعَمَل ؟ » .



وفى يَوْمٍ ، أَقَامَ سَيِّدُ لِبْلِبَةَ وزَوْجَتُهُ وَليمَةً عَظِيمَةً فى بَيْتِهِما الفَاخِرِ ، حَضَرهَا أَصْدِقَاؤُهما لِتَناولِ الطَّعَامِ .

وقَبْلَ مِيعَادِ الوَليمَةِ بِعِدَّةِ أيَّامٍ ، انْهَمَكَتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ وَالْكَسْلانَتَانِ : نَاعِسَةُ وجَمِيلَةُ فى العَمَلِ ، إذْ كَانَتْ لَدَيْهِنَّ وَاجِبَاتٌ كَثِيرَةٌ يَجِبُ القِيَامُ بِهَا . كَانَ عَلَيْهِنَّ تَنْظِيفُ الخُضْروَاتِ وطَهْيُهَا ، وإعْدَادُ الطُّيورِ الْمَشْوِيَّةِ واللُّحُومِ المَطْبُوخَةِ ، وصُنْعُ الكَعْكِ والشطائر وغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَلْوَى والأَطْعِمَةِ .

وَوُضِعَ عَلَى عَاتِقِ لِبْلِبَةَ الصَّغِيرَةِ أَشَقُّ جَانِبٍ مِنَ الْعَمَلِ ، إذْ سُرْعَانَ مَا تَخَلَّتْ نَاعِسَةُ وجَمِيلَةُ عَنِ القِيَامِ بِوَاجِبَاتِهِما ، بِحُجَّةِ أَنَّ التَّعَبَ قَدِ انتَابَهُما .

وفى يَوْمِ المَأْدُبَةِ نَفْسِهِ ، قَامَتْ لِبْلِبَةُ بِأَكبرِ نَصِيبٍ مِنَ العَمَلِ : فَقَدْ بَسَطَتِ المَوَائِدَ ، وأَتمَّتِ الطَّهْىَ ، ثُمَّ وَقَفَتْ تُلَبِّى كُلَّ طَلَبٍ يُبْدِيه أَىُّ وَاحِدٍ مِنَ الضُّيُوفِ . . . وَكَانَ المَدْعُوُّون يَتَصَايَحُونَ مِنْ شِدَّةِ الطَّرَبِ والمَرَحِ .

وبَعْدَ انْتِهَاءِ الوَلِيمَةِ ، قَامَتْ لِبْلِبَةُ بِالْعَمَلِ كُلِّهِ : فَجَمَعَتِ الأَوَانِىَ وأَدَوَاتِ المَائِدَةِ ، ورَفَعَتِ المَوَائِدَ ، وَغَسَلَتِ الأَطْبَاقَ .

وفى كُلِّ هٰذَا ، لَمْ تَمُدَّ نَاعِسَةُ وجَمِيلَةُ يَدَ المُسَاعَدَةِ إِلَى لِبْلِبَةَ ، بَلْ جَلَسَتْ نَاعِسَةُ عَلَى مَقْعَدٍ فى المَطْبَخِ ، وأَخَذَتْ تَلْتَهِمُ جَمِيعَ الكَعْكِ والحَلْوَى الَّتِى تَبَقَّتْ مِنَ الوَلِيمَةِ .

وبالْمِثْلِ ، لَمْ تُلْقِ جَمِيلةُ بَالاً إِلَى الأَكْوَامِ المُكَدَّسَةِ مِنَ الأَطْبَاقِ





الَّتى يَتَحتَّمُ غسْلُهَا ، بَلْ تَسَلَّلتْ لِتَتَمتَّعَ بِمُشَاهَدَةِ السَّيِّدَاتِ الحِسَانِ فى ثِيَابِهِنَّ الحَرِيرِيَّةِ الفَاخِرَةِ ، ومُجَوْهَرَاتِهِنَّ النَّفِيسةِ الغَالِيَةِ . وَهكَذَا قَضَتْ كُلَّ وَقْتِهَا خَلْفَ بَابِ البَهْوِ تَختَلسُ النَّظرَ مِنْ ثُقْبِ المِفتَاحِ ، لِتَتَمكَّنَ مِنْ مُشَاهَدَةِ المَنَاظِرِ الجَمِيلَةِ .



وأخيراً انتاب الإرهاق الشديد لبلبة الصغيرة ، حتى لم تعد قادرة على الوقوف . وعندما انتهت من تنظيف آخر طبق ، كان قد انقضى من الليل شطر كبير ، فزحفت فوق درجات السلم لتصل إلى غرفتها التى تقع فوق السطح . وهناك ألقت بنفسها على سريرها ، وسرعان ما استغرقت فى نوم عميق .

وفى اليوم التالى ، استيقظت من نومها مبكرة ، إذ كانت تدرك تماماً أن المنزل يجب تنظيفه جيداً ، وإعادة النظام إليه عقب الوليمة ، لكنها وجدت نفسها متعبة جداً .

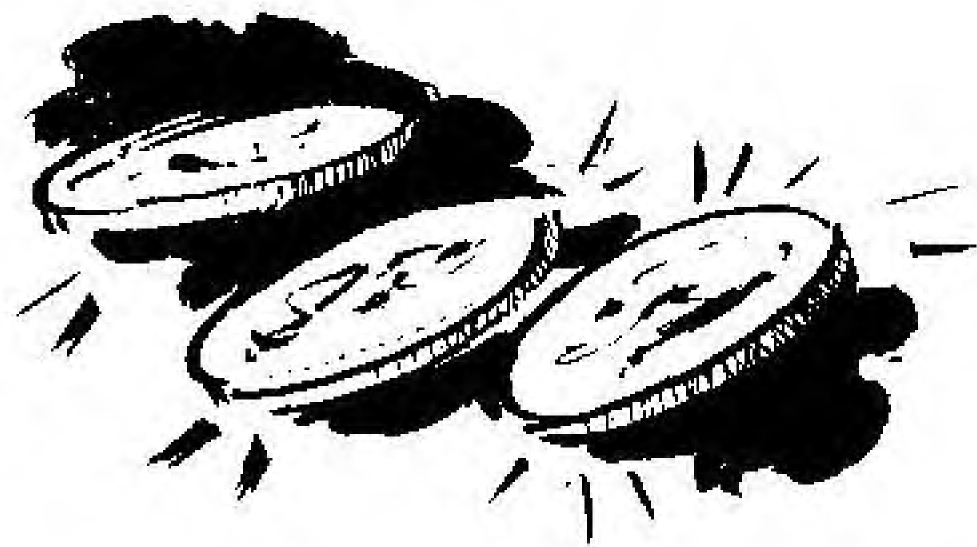
وارتدت ملابسها ببطء ، وهى تدعك عينيها ، وعندما تناولت حذاءها لتلبسه ، توقفت فجأة . . لقد أحست بشىء صلب وبارد فى حذائها الأيمن ، وعندما تحسسته ، سألت نفسها متعجبة : « ما هذا . . . ؟ ! »

وكم كانت دهشتها عندما نظرت إلى الشىء الذى وجدته . . . فإذا به دينار ذهبى لامع كبير !

وحملقت لبلبة الصغيرة فى ذلك الكنز الصغير ، ودعكت عينيها ثانية لتتأكد أنها ليست فى حلم ، وقالت لنفسها : « أنا واثقة أن هذا الدينار الذهبى لم يكن فى حذائى ليلة الأمس ، فمن أين جاء ؟ ومن الذى وضعه هنا ؟ »

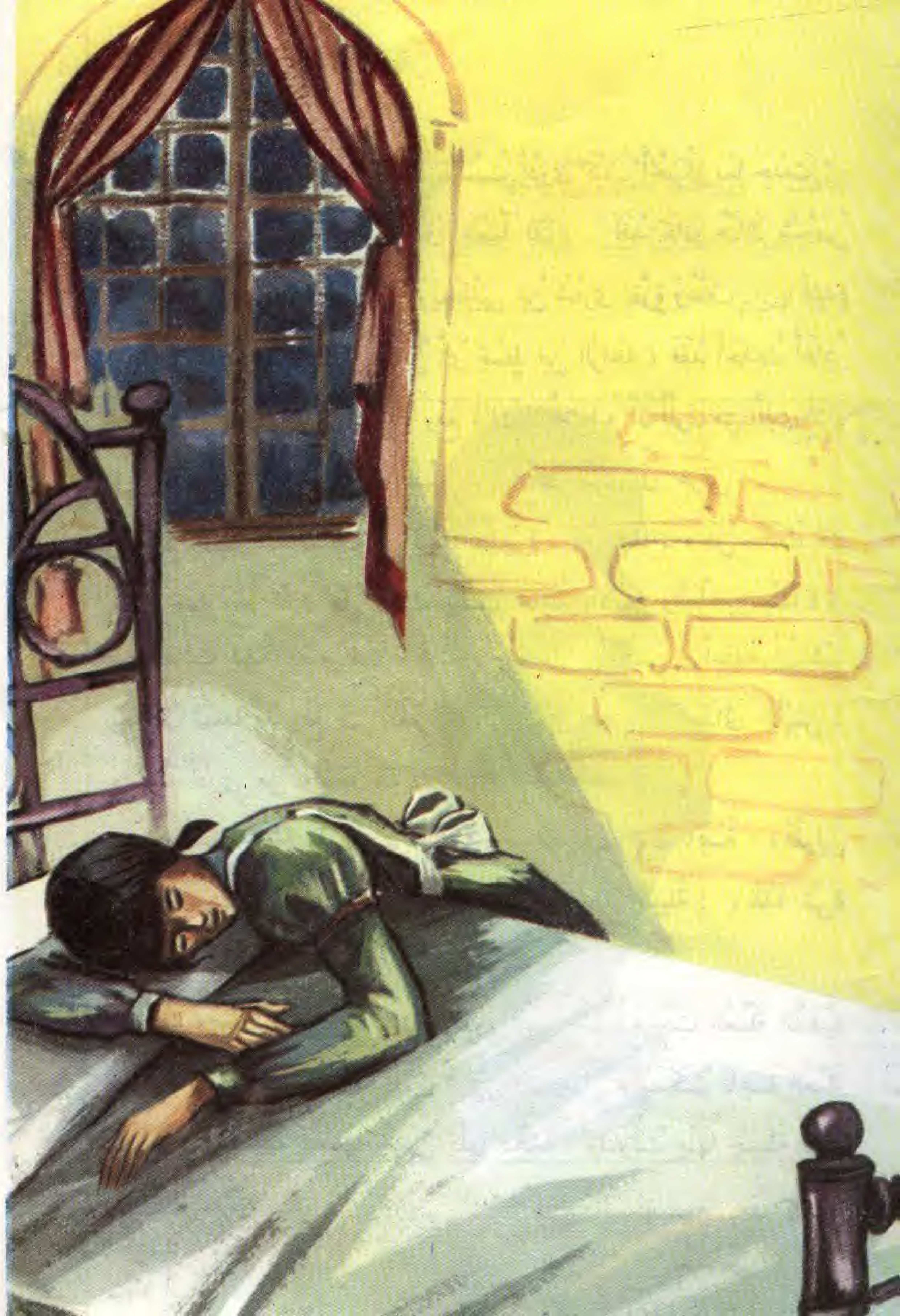
وَلَمْ تستَطِعْ أَنْ تَجِدَ تَفْسِيراً مَعْقُولاً لِمَا حَدَثَ . وبَعْدَ تَرَدُّدٍ ، وَضَعَتِ القِطْعَةَ الذَّهَبِيَّةَ فى جَيْبِ رِدَائِهَا ، وَهَبَطَتِ السُّلَّمَ لِتَبْدَأَ أَعْمَالَها ، لَكِنَّها لَمْ تَجِدِ الفَتَاتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ .

وبَعْدَ لحظَةٍ ، دَخَلَتْ نَاعِسَةُ المَطْبَخَ وَهِىَ تَصِيحُ : « يَالَهَا مِنْ لَيْلَةٍ فَظِيعَةٍ . إِنَّنِى لَمْ أَذُقْ طَعْمَ النَّوْمِ خِلالَها . . لَسْتُ أَدْرِى مَا الَّذِى انتَابَنِى ؟ لَقَدْ أَحْسَستُ أَنَّ شَخْصاً مَّا لا أَستَطِيعُ أَنْ أَرَاهُ ، قَضَى طُولَ اللَّيْلِ يَضْرِبُنِى ويَلْكُمُنِى . لَقَدْ غَادَرْتُ فِرَاشى عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وفَتَّشْتُ غُرفَتِى جَيِّداً ، وتَأَكَّدْتُ فى كُلِّ مَرَّةٍ أَنَّنِى وَحْدِى تَمَاماً . ومَعَ ذَلِكَ . . مَا إِنْ أَعُود لأَستَلْقِىَ عَلَى الفِرَاشِ ، حتَّى يَبْدَأَ الوَخْزُ وَالضَّربُ ثَانِيَةً . إِنَّ جِسْمِى كُلَّه يُؤْلِمُنِى مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبِ والوَخزِ . . . انْظُرِى يَا لِبْلِبَة ، لَقَدِ امتَلأَ جِسْمِى بِالبُقَعِ السَّوداءِ والزَّرْقَاءِ مِنْ أَثَرِ مَا حَلَّ بِى فى أَثْنَاءِ اللَّيْلِ ! ! » .



ودَخَلَتْ جَمِيلَةُ عِنْدَمَا كَانَتْ لِبْلِبَةُ تَتَطَلَّعُ إِلَى عَلاَمَةٍ مُتَورِّمَةٍ كَبِيرَةٍ زَرْقَاءَ فى ذِرَاعِ نَاعِسَةَ ، وإِذَا بِالْخُدُوشِ والجُرُوحِ تُغَطِّى وَجْنَتَىْ جَمِيلَةَ الجَمِيلَتَينِ ، فى حِينِ ظَهَرَ وَاضِحاً أَنَّ بَعْضَ خُصْلاَتِ شَعْرِهَا الذَّهَبِىِّ قَد انْتُزِعَتْ مِنْ رَأْسِهَا . وَصَاحَتْ لِبْلِبَةُ ونَاعِسَة فى صَوْتٍ وَاحِدٍ عِنْدَمَا شَاهَدَتَاهَا : « مَاذَا حدَثَ . . مَا الَّذِى حَلَّ بِكِ ؟ ! » .





وقَالَتْ جَمِيلَةُ وهِىَ تَبْكى : « لَسْتُ أَدْرِى كَيفَ أُخبِرَكُما بِمَا حَدَثَ . . فَطَوالَ اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ ، لَمْ أَذُقْ طَعْماً لِلنَّوْمِ . لَقَدْ كَانَ هُنَاكَ شَخْصٌ مَّا يُواصِلُ وَخزِىَ بِالدَّبابِيسِ ، وَيَجْذِبُنِى مِنْ شَعْرِى بِقُوَّةٍ وَعُنْف . . يَا لَشِدةِ الْخَوْفِ الَّذِى انتَابَنِى ! . لَمْ أَنلْ أَىَّ قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَةِ ، فَقَدْ أَخَذتُ أُغَادِرُ الفِرَاشَ وأَعُودُ إِلَيه طُولَ اللَّيْلِ ، ومَعَ ذٰلِكَ لا أَستَطِيعُ أَنْ أَقُولَ مَن الَّذِى أنزلَ بِى هٰذَا الْعَذَابَ المتَّصِلَ ، فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَيْرِى فى غُرْفَتِى » .

ثُمَّ استَدَارَتِ الفتَاتَانِ إِلَى لِبْلِبَةَ الصَّغِيرَةِ ، وسَأَلتَاهَا : « هَلْ حَدَثَ لَكِ شَىْءٌ مِمَّا وَقَعَ لَنَا ؟ هَلْ كَانَتْ لَيْلَتُكِ حَافِلَةً بِالأَلَمِ والْعَذَابِ مِثْلَنَا ؟ »

فَقَالَتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ : « كَلاَّ . . بَلْ عَلَى الْعَكْسِ ! أَعتَقِدُ أَنَّ شَيْئاً يَختَلِفُ تَماماً قَدْ وَقَعَ لى . لَقَدْ وَجَدْتُ دِينَاراً ذَهبِيًّا فى حذَائى الأيْمنِ ، ولَسْتُ أَدْرِى مَنْ وَضَعَهُ هُنَاكَ ! » .

وبَانَتِ الدَّهْشَةُ عَلَى وَجْهَىْ نَاعِسَةَ وجَمِيلةَ ، وصَاحَتْ نَاعِسَةُ : « تَقُولِينَ مِنْ ذَهَبٍ ؟ ! لعَلَّكِ كُنْتِ تَحْلُمِينَ ! » وَقَالَتْ جَمِيلَةُ : « هٰذَا شَىْءٌ لاَ يَحْدثُ إِلاَّ فى الْقِصَصِ ! »

هُنَا وَضَعَتْ لِبلِبَةُ يَدهَا فى جَيْبِ رِدَائِهَا ، ثُمَّ أَخرجَتِ العُمْلَةَ الذَّهَبِيَّة وبَرِيقُ المَعْدِنِ الأَصْفرِ الثَّمِينِ يَلْمعُ بَيْنَ أَصَابِعِهَا . وأَمْسكَتْ نَاعِسَةُ العُمْلَةَ الغَالِيَةَ ، وأَخذَتْ تتأَمَّلُهَا بِعينَيْنِ كُلُّها دَهْشَة . وتَنَاولَتْ مِنْهَا جَمِيلَةُ قِطْعَة

الذَّهَبِ ، وَراحَتْ تُقَلِّبها بينَ يَدَيْهَا ، وَهِيَ تَتَحَسَّسُها غير مُصَدِّقَةٍ .

وأَخيراً استَعَادَتْ لِبْلِبَةُ الدِّينَارَ الذَّهَبِيَّ ، وأَعَادَتْهُ فى حِرْصٍ إلى مَكَانِهِ دَاخِلَ جَيْبِهَا .



وخِلاَلَ ذلِكَ النَّهَارِ، لَمْ تَقُمْ نَاعِسَةُ أَوْ جَمِيلَةُ بِأَىِّ عَمَلٍ.. لَقَدْ قَالتَا إنَّ آلاَمَهُما أَشَدُّ مِنْ أَنْ تَسْمحَ لَهُما بِالْحَرَكَةِ، ولِهٰذَا اشْتَغَلَتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ وحْدَهَا طَوالَ النَّهَارِ، وفى اللَّيْلِ نَامَتْ فى هُدُوءٍ فى حُجْرتِها الصَّغِيرَةِ فَوْقَ السَّطْحِ. وعِنْدَمَا استَيْقَظَتْ صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالى، وَجَدَتْ دِيناراً ذَهَبيًّا آخَرَ فى حِذَائِهَا الأَيْسَرِ. وَكَمْ كَانَ ذٰلِكَ غَرِيباً!

أَمَّا نَاعِسَةُ وجَمِيلَةُ، فَقَدْ نَزلَتَا فى وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ، وَهُمَا مُتَأَلِّمَتَانِ، إِذْ لَمْ تَتَمتَّعْ إِحْدَاهُما بِلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ النَّوْمِ الهَادِئ. لَقَدْ تَوالَى عَلَيْهِما الضَّرْبُ والوَخْزُ طَوال تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضاً، ولَمْ تَستَطِعِ الفَتَياتُ الثَّلاثُ أَنْ يَعْرِفْنَ سِرَّ هٰذَا الَّذِى يحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ.



وفى اللَّيْلةِ الثَّالِثَةِ ، أصْبحَ الأَمرُ أَكثر سُوءاً وأَشَدَّ إيلاماً بِالنِّسبَةِ للفتاتَيْنِ الْكَسْلانَتَيْنِ . وفى الصَّباحِ ، كَانَتِ البُقَعُ الزَّرْقَاءُ والسَّوداءُ تَمْلأُ جِسْمَيْهِما ، والأَلَمُ الشَّدِيدُ يَنْتَابُ كُلَّ عُضْوٍ فِيهِمَا .

أَمَّا لِبْلِبَةُ الصَّغِيرةُ ، فَقَدِ استَيْقَظَتْ صَباحاً مِنْ نَوْمِهَا ، بَعْدَ أَنْ أَمْضتْ لَيْلَةً سَعِيدَةً هَادِئَةً فى حُجرَتِها الصَّغِيرَةِ فَوْقَ السَّطْحِ . وفى الصَّباحِ ، وَجَدتْ دَاخِلَ جوْرَبِها دِينَاراً ذَهَبِيًّا ثَالِثاً .



أَخِيراً صَمَّمَتِ الفَتياتُ الثَّلاَثُ عَلَى إِخبَارِ سَيِّدَتِهِنَّ بِمَا حَدَثَ ، وأَصغَتِ المرْأَةُ إِلَى القِصَّةِ كَامِلَةً ، وأَمْعَنَت النَّظرَ إِلَى الدَّنَانِيرِ الذَّهَبِيَّةِ ، ثُمَّ قَالَتْ : « إِنَّ هَذَا طَبْعاً مِنْ فِعْلِ الحُورِيَّاتِ . لَقَدِ اعْتَدتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْ أُمِّى أَنَّ الحُورِيَّاتِ تُوخِزُ كُلَّ فَتاةٍ كَسْلانَةٍ لا تَقُومُ بِأَدَاءِ وَاجِبَاتِها بِأَمَانَة » .

وَهُنَا نَظَرَتْ بِتَجَهُّمٍ إِلَى نَاعِسَةَ وَجَمِيلَةَ ، وتَابَعَتْ حَدِيثَها قَائِلَةً : « وَأَنَا وَاثِقَةٌ أَنَّ الحُورِيَّاتِ قَدْ كَافَأَتْ لِبْلِبَةَ الصَّغِيرَةَ بِهٰذِهِ الدَّنَانِيرِ الذَّهَبِيَّةِ ، لأَنَّها تَشْتَغِلُ دَائِماً بِجدٍّ وَنَشَاطٍ » .



ثُمَّ مَنَحَتْ لِبْلِبَةَ عُطْلَةَ اليومَ بِأكْمَلِهِ ، حتَّى تتمكَّنَ مِنْ زِيارَةِ جدَّتِها ، فى الوَقْتِ الَّذِى أَخَذَتْ تُؤَنِّبُ فيهِ البِنْتَيْنِ الْكَسْلانَتَيْنِ ، وقَالَتْ لَهُما : «إِنَّنى أُفكِّرُ فِعْلاً فى طَرْدِكُما مِنْ خِدْمَتى ، مَا دُمْتُما لا تُخْلِصانِ فى عَمَلِكُمَا» .

ومَا إِنْ سَمِعَتِ الفَتاتَانِ هٰذَا التَّهْدِيدَ ، حتَّى مَلأَهُما الْخَوفُ والأَسَفُ ، وتَعَهَّدَتَا أَنْ تُحْسِنَا السُّلوكَ فى المُستقبَلِ ، وأَنْ تُؤَدِّيَا عمَلَهُما بِأَمانَةٍ وإِخْلاصٍ .

أَمَّا لِبْلِبَة ، فَقَدْ غمرَتْهَا الفَرْحَةُ عِنْدَمَا ذَهَبَت إِلى جدَّتِهَا الفَقِيرَةِ ، وقَصَّتْ عَلَيْهَا أَخبارَ حَظِّهَا الحَسَن . وكَانَ الحَدِيثُ طَوِيلا ومُسَلِّياً بَيْنَ الفَتاةِ

وجدَّتِهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لِبْلِبَةُ فى فَرح : « إِنَّنى أعْلَمُ يَا جَدَّتِى مَا يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَهُ بِدَنَانِيرِى الذَّهَبِيَّةِ . لَقَدْ أَخبَرَتْنِى سَيِّدَتِى أَنَّهَا أَكْبَرُ أَنْوَاعِ العُمْلاَتِ قِيمَةً ، ولِهٰذَا فَسَأَدَّخِرُهَا حتَّى أَتَمكَّنَ مِنْ شِرَاءِ مَنْزِلٍ صَغِيرٍ جَمِيلٍ تَعِيشِينَ فِيهِ ، بَدَلاً مِنْ هَذَا الكُوخِ الصَّغِيرِ . إِنَّ هٰذَا أَقْصَى مَا أَطْمَعُ فِيهِ » .

وحَلَّ الظَّلاَمُ قَبْلَ أَنْ تغَادِرَ لِبْلِبَةُ كُوخَ جَدَّتِهَا ، وأَمْسَى الجَوُّ شَدِيدَ البُرُودَةِ ، بَلْ أَخَذَتِ السَّمَاءُ تُمْطِرُ فى أَثْنَاءِ عَوْدَةِ لِبْلِبَةَ .

وفى أَحَدِ الأَزِقَّةِ الصَّغِيرَةِ شَاهَدَتْ لِبْلِبَةُ فى أَثْنَاءِ سَيْرِهَا صَبِيَّةً تَبْكِى بُكَاءً شَدِيداً وهِىَ تَحتَمِى بِبَابِ أَحَدِ الْمَنَازِلِ . وكَانَتْ حَافِيَةَ الْقَدَمَيْنِ تَقِفُ فى الطِّينِ ومَاءِ الأَمْطَارِ البَارِدِ ، وتَرْتَدِى ثِيَاباً قَدِيمَةً بَالِيَة . وفى الحَالِ تَوَقَّفتْ لِبْلِبَةُ وسَأَلَتْهَا : « لِمَاذا تَبْكِينَ أَيَّتُهَا الفَتَاةُ ؟ »

وتَنَهَّدَتِ الصَّبِيَّةُ وهِىَ تَقُولُ : « إِنَّنى حَائِرَةٌ لاَ أَعْرِفُ مَكَاناً أَنَامُ فِيهِ هٰذِهِ اللَّيْلَة . إِنَّنى لاَ أَملكُ نُقُوداً ، كَمَا أَنَّنى لَمْ أَتَذَوَّق طعَاماً طَوال هٰذَا النَّهَارِ ، وَلَسَوْفَ أَمُوتُ مِنَ الجُوعِ والبَرْدِ » . ثُمَّ سَقَطَتْ مُتَكَوِّمَةً تَحْتَ أَقْدَامِ لِبْلِبَة .

وتَنَهَّدَتْ لِبْلِبَةُ لحظَةً ، ثُمَّ قَالَتْ لِنَفْسِهَا : « لَقَدْ عَلَّمَتْنِى جَدَّتِى أَنَّه يَجِبُ مَدّ يَدِ المُسَاعَدَةِ للآخَرِينَ ، كُلَّمَا وَجَدْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً » .





عِنْدئِذٍ أَخرجَتْ أَحَدَ دَنَانِيرِهَا الذَّهَبِيَّة ، وَوَضَعَتْهُ فى يَدِ الصَبِيَّة الصَّغِيرَةِ ، وَقَالَتْ فى رِقَّةٍ : « يَا أُخْتِى . . هَذِه القِطْعَةُ الذَّهَبِيَّةُ تكْفِى لِعَشَائِكِ ، وأَيْضاً لِكَى تَجِدِى لَكِ مأْوَى تَبِيتِينَ فِيهِ اللَّيْلَةَ » . ثُمَّ تَابَعَتْ سَيْرَها إِلَى مَنْزِلِ سَيِّدتِهَا .



ودُهِشَتْ نَاعِسَةُ وَجَمِيلَةُ عِنْدَمَا سَمِعَتَا كَيْفَ ضَحَّتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ بِوَاحِدٍ مِنْ دَنَانِيرِهَا الذَّهَبِيَّةِ ، وقَالَتَا لَهَا : « يَالَكِ مِنْ فَتاةٍ حَمْقَاءَ ! كَيْفَ تُعْطِينَ وَاحِداً مِنْ دَنَانِيرِكِ الذَّهَبِيَّةِ الثَّمِينَةِ لِشَحَّاذَةٍ صَغِيرَةٍ ؟ لَقَدْ كَانَ بِوسْعِكِ أَنْ تَشْتَرِى أَغْلَى وأَثْمَنَ الأَشْيَاءِ بِهَذَا الدِّينَارِ الذَّهَبِىّ » . ولَكِنَّ لِبْلِبَةَ لَمْ تُلْقِ بَالاً إِلَى تَأْنِيبِهِمَا ، بَلْ كَانَ السُّرورُ يَغْمُرُهَا لأَنَّهَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُسَاعِدَ تِلْكَ الفَتَاةَ المِسْكِينَةَ الصَّغِيرَةَ » .

وفى أَثْنَاءِ غِيَابِ لِبْلِبَةَ عِنْدَ جَدَّتِهَا ، حَاوَلَت نَاعِسَةُ وَجَمِيلَةُ أَنْ تَشتَغِلاَ بِجِدٍّ ونَشَاطٍ ، حتّى لا تَعُودَ إِلَيْهِمَا الحُورِيَّاتُ بِالضَّربِ والوَخزِ . لَقَدْ أَرَادَتَا

تَجنّبَ تِلْكَ الآلاَمِ ، فَواصَلَتا العَمَلَ بِهمَّةٍ حتَّى انتهَتا مِنْ واجِباتٍ كَثِيرَةٍ ، ولكِنَّهُما فى نِهَايَةِ النَّهارِ شعَرَتا بِالتَّعبِ تماماً ، فذَهبَتا إلى فِراشِها قبْلَ أنْ تبْدأَ لِبْلِبَةُ فى تناوُلِ عشَائِها .



وقبلَ أَنْ تَتَنَاوَلَ لِبْلِبَةُ لُقَمَةً وَاحِدَةً مِنْ طَبَقِ الطَّعَامِ ، سَمِعَتْ طَرْقاً عَلَى البَابِ ، فَقَامَتْ تَفْتحُهُ . وعِنْدَمَا فتحَتْهُ ، شَاهَدَتْ سَيِّدَةً تحْمِلُ عَلَى ذِرَاعَيْهَا طِفْلاً صَغِيراً . وسُرْعَانَ مَا قَالَتِ السَّيِّدَةُ : « يَا عَزِيزَتِى الصَّغِيرَة . . أَلاَ تَمنَحِينَنِى شَيْئاً أَقتَاتُ بِهِ أَنا وطِفْلى ؟ إِنَّنا لمْ نَذُقْ طعَاماً طَوالَ اليَومِ ، وَلاَ يَزَالُ أَمَامِى عِدَّةُ أَمْيَالٍ يَجِبُ أَنْ أَقْطَعَهَا خِلاَلَ هَذَا اللَّيْل ، قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى المَنْزِلِ الَّذِى أَقْصِدُهُ » .





وفى الحَالِ صَاحَتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ : «تَفَضَّلى بِالدُّخُولِ» . وأَدْخَلَتِ المَرأَةَ إِلَى المَطْبَخِ الدَّافِئ ، وأَحْضَرَتْ لَهَا مَقْعَدًا جَلَسَتْ عَلَيْه ، ثُمَّ قَدَّمَتْ لَهَا طَبَقَ الحَسَاءِ وقِطْعَةَ الخُبْزِ ، وهُوَ مَا كَانَتْ سَتَتَنَاوَلُهُ كَعَشَاءٍ لَهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لِبْلِبَةُ : «دَعِينى أَحْمِلُ الطِّفْلَ عَنْكِ فى أَثْنَاء تَنَاوُلكِ الطَّعَامَ» .

وتَبَيَّنتْ لِبْلِبَةُ أَنَّ المَرْأَةَ شَاحِبَةُ الوَجْهِ ، نَحِيفَةُ الجِسْمِ ، تَرْتَدِى مَلابِسَ رَثَّةً بَالِيَةً . وكَانَ طِفْلُهَا الصَّغِيرُ يَبْكى مِن الجُوعِ والبَرْدِ . لَقَدْ كَانَ مَلْفوفاً فى شَالٍ ، لَمْ يَكُنْ سِوَى خِرْقَةٍ رَثَّةٍ بَالِيَةٍ . وقَالَتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ : «لابُدَّ أَنْ يَكُونَ لِطفلكِ غِطَاءٌ يُدْفِئُهُ ، إِنَّهُ سَيَمُوتُ مِنَ البَرْدِ إِذَا ظَلَّ مُتَدَثِّراً بِهَذَا الشَّال البَالى» .

فَقَالَتِ السيِّدةُ وقَدْ أخذَتْ تبْكى : « إنَّنى أعْلَمُ هٰذَا ، ولٰكِنْ لَيْسَتْ معِى نُقُودٌ لأَشترَى غِطَاءً يُدْفِئُه . إِنَّنا فُقَراءُ جِدًّا ، فَزوْجِى يَعْمَلُ سَائِقَ عَرَبَةٍ ، وقَدْ سَافَرَ إِلَى مَدِينةٍ تَبْعُدُ عَنْ هُنَا أَمْيالاً كَثِيرَةً ، وهُنَاكَ سَقَطَ مَرِيضاً ، وأَخْشَى أَنْ يَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَيهِ . ولَيْسَتْ مَعِى نُقُودٌ لأَستَأْجِرَ مَرْكَبةً أَذْهَبُ بِهَا إِلَى هُنَاكَ ، لِذٰلِكَ لابُدَّ أَنْ أُتابِعَ رِحْلَتِى سَيْراً عَلَى الأَقْدَامِ » .

ثُمَّ وَضَعَتِ الطَّبَقَ وهِيَ تَتَنَهَّدُ فى أَثْناءِ حَدِيثِهَا ، وحَمَلَتِ الطِّفْلَ ، وتَوَجَّهَتْ نَاحِيَةَ البَابِ وهى تَقُولُ : « أَنْتِ فَتَاةٌ طَيِّبَةٌ جِدًّا . . كَمْ كُنْتُ أَوَدُّ أَنْ أُكَافِئَكِ » .

وَلٰكِنَّ لِبْلِبَةَ الصَّغِيرَةَ قَامَتْ ، وَوَضَعَتْ شَيْئاً صُلباً لامِعاً فى يَدِ السَّيِّدَةِ وقَالَتْ : « اِشْتَرِى غِطَاءً لِطِفْلِك أَيَّتُهَا السَّيِّدةُ المِسْكِينَةُ ، وأَرْجُو أَنْ تَتَمكَّنى مِنَ الوصُولِ سَرِيعاً إِلَى زَوْجِكِ المَرِيضِ » .

وعَلَى هٰذِه الصُّورَةِ أَنْفقَتْ لِبْلِبَةُ ثَانى دَنَانِيرِهَا الذَّهبِيَّةِ .



لَمْ يَتَبَقَّ مَعَ لِبْلِبَةَ سِوَى دِينَارٍ ذَهَبِىٍّ واحِدٍ مِنَ الْهَدَايَا الَّتى تَرَكَتْهَا الحُورِيَّاتُ . وأَدْرَكَتْ لِبْلِبَةُ أَنه يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَنْتَظِرَ وَقْتاً طَوِيلاً قَبْلَ أَنْ تَتمكَّنَ مِنْ شِرَاءِ مَنْزِلٍ صَغِيرٍ لجَدَّتِهَا الفَقِيرَةِ العَجُوزِ . فَبِرَغْمِ أَنَّه كَانَ فى

اسْتِطَاعَتِها أَنْ تَشتَرِىَ أشياءَ كَثِيرَةً جَمِيلَةً بِدينارِهَا الوَحِيدِ البَاقى ، فَإِنَّها لَنْ تَستَطِيعَ أَنْ تَشتَرِى بِهِ مَنْزِلاً . وقَالَتْ لِبْلِبَةُ لِنَفْسِهَا : « عَلَى كُلِّ حَالٍ ، أَستَطِيعُ الاحْتِفاظَ بِهَذَا الدينَارِ الأَخِيرِ » .

ولَكِنَّ نَاعِسَة وَجَمِيلة أَخَذَتَا تَسْخَرَانِ مِنْهَا ، وتُسَفِّهَانِ تَصَرُّفَهَا ، ثُمَّ قَالَتَا : « فى بَادِئِ الأَمْرِ تَعْطِينَ دِينَاراً لِطِفلَةٍ لاَ تَعْرِفِينَهَا ، ثُمَّ تَأْخُذُ مِنْكِ امرَأَةٌ غَرِيبَةٌ الدِّينَارَ الثَّانى . لَسنَا نَدْرِى مَا فَائِدَةُ الهَدَايَا ، إِذَا كُنْتِ تَمنَحِينَها لِكُلِّ شَخْصٍ يَستَجْدِيهَا مِنْكِ » . ولَكِنَّ لِبْلِبَةَ لَمْ تَكُنْ تَشْعُرُ بِأىِّ أَسَفٍ عَلَى إِعطَاءِ دِينَارَيْهَا الذَّهَبِيَّيْنِ لِمَنْ هُمْ فى حَاجَةٍ إِلَى النُّقُودِ أَكثَرَ مِنْهَا .

وفى اللَّيْلَةِ التَالِيَةِ ، مَا إِنْ جَلَسَتْ لِبلِبَةُ لِتَنَاوُلِ العَشَاءِ وحْدهَا ، حتى سَمِعَتْ طَرْقَةً خَفِيفَةً عَلَى البَابِ ، فَسَأَلَتْ عَمَّنْ يَكُونُ بِالبَابِ فى هذَا الوقْتِ . وتَذَكَّرتْ ما حَدَثَ فى اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ ، لَكِنَّها ذَهَبَتْ فى الحَالِ



وفَتحَتِ البَابَ ، وهُنَاكَ شَاهَدَتْ سيِّدةً قَصِيرَةً طَاعِنَةً فى السِّنِّ ، تَقِفُ مُنْحَنِيَةً وَقَدْ تقوَّسَ ظَهرُهَا حتَّى اقتَرَبَ رَأْسُهَا مِن الأَرْضِ .

كَانَتِ السَّيِّدةُ ضَئِيلَةَ الحَجْمِ ، قَصِيرَةَ القَامَةِ جِدًّا حتى إنَّهَا لَمْ تَبْلُغْ إلاَّ كَتِفَ لِيْلِبَةَ . وكَانَتْ مَلابِسُهَا مُجرَّدَ مَجْمُوعةٍ مِن الخِرَقِ ، وحِذَاؤُهَا قَدِيماً جِدًّا حتى إنَّ لِيلِبَةَ استَطَاعَتْ أَنْ تَرَى جَمِيعَ أَصَابعِ قَدَمَيهَا بَارِزَةً مِنَ الثُّقُوبِ الكَبِيرَةِ المَوْجُودَة بِهمَا .

وقَالَتِ المَرْأَةُ العَجُوزُ حِينَمَا شَاهَدَتْ لِيْلِبَةَ : « يَا فَتاتى الصَّغِيرَة . . هَلْ أَجِدُ لَدَيْكِ فَلْساً وَاحِداً تَتَصدَّقِينَ بهِ عَلَى مُتَسوِّلةٍ عَجُوزٍ مسْكِينَةٍ ؟ . لَقَدْ







طَرَقْتُ أَبْوابَ مَنَازِلَ كَثِيرةٍ ، ولَكِنَّ أَهْلَهَا طَرَدُونى بَعِيدًا ، وشَيَّعُونى بِالسِّبابِ واللَّعَنَاتِ ، ولَمْ يَمْنَحُونى شَيْئاً سِوَى اللَّكْزِ والأَلْفاظِ النَّابِيةِ ، فإِذَا لَمْ يَمُدَّ لى أَحَدٌ يَدَهُ بِالمُسَاعَدَةِ ، فَسَأَمُوتُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيق ، لأَنَّنى لاَ أَمْلِكُ فَلْساً وَاحِدًا أَحْصُلُ بِهِ عَلَى الطَّعَامِ أَوِ المَأْوى » .

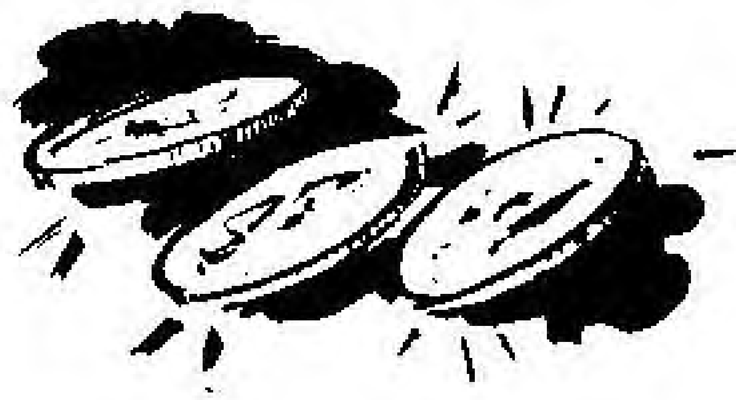
فَقَالَتْ لِبْلِبَةُ : « لَسْتُ أَمْلِكُ نُقُوداً . . » وفَجْأَةً تَوَقَّفتْ . . كَانَتْ قَدْ نَسِيَتْ تماماً دِينَارَهَا الذَّهَبِىَّ ،

لكِنَّها تَذَكَّرَتْهُ فى تِلْكَ اللَّحْظَةِ . . . لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ غَيْرَهُ . . . إِنَّهُ آخِرُ دِينَارٍ لَدَيْهَا ، وَهُوَ الوَحِيدُ البَاقى مِنْ هَدَايَا الحُورِيَّاتِ الغَالِيَةِ . . . لَقَدْ كَانَتْ تُرِيدُ الاحْتِفَاظَ بِهِ لِتَشْتَرِىَ شَيْئاً يَنْفَعُ جَدَّتَها وَيَسُرُّهَا . . . وكَانَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ تُفَرِّطَ فِيهِ .

وتَذَكَّرتْ لِبْلِبَةُ كَلِمَاتِ زَمِيلَتَيْهَا وسُخْرِيَتَهُما عِنْدَمَا قَالَتَا : « لَقَدْ بَعْثَرْتِ دَنَانِيرَكِ عَلَى أَوَّلِ مَنْ قَابَلْت مِمَّنْ يَطْلُبُونَ إِحْسَاناً » . وأَخِيراً قَالَتِ السَّيِّدَةُ العَجُوزُ فى صَوْتٍ حَزِينٍ : « إِنَّنِى لاَ أَمْلِكُ فَلْساً وَاحِداً فى هَذِهِ الدُّنْيَا يَا صَغِيرَتِى » .

وتَذَكَّرتْ لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ فى تلْكَ اللَّحْظَةِ جَدَّتَها العَجُوزَ . إِنَّها فَقِيرَةٌ حَقًّا ، ولَكِنْ لَدَيْهَا كُوخٌ تَعِيشُ فِيهِ ، وهِىَ تَحْصُلُ عَلَى كُلِّ النُّقُودِ الَّتِى تَأْخُذُهَا لِبْلِبَةُ كَأَجْرٍ لَهَا ، لِذَلِكَ تَستَطِيعُ أَنْ تَشْتَرِىَ قَدْراً مِنَ الطَّعَامِ يَمْنَعُ عَنْهَا أَلَمَ الجُوعِ ، وهِىَ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْستْ فى حَاجَةٍ إِلَى الإِحْسَانِ أَوْ التَّسوُّلِ .

وتَصَوَّرتْ لِبْلِبَةُ أَنَّ الحَالَ وَصَلَتْ بجَدَّتِهَا إِلَى أَنْ تُصْبِحَ مِثْلَ هَذِهِ السَّيِّدَةِ العَجُوزِ الفَقِيرَةِ ، وتَصَوَّرتْ أَنَّها لَمْ تَعُدْ تَمْلِكُ فَلْساً وَاحِداً ، وتَصَوَّرتْ أَنَّها



قَدْ طُرِدَتْ مِنْ أَمَامِ أَبْوابٍ كَثِيرَةٍ مِنَ البُيُوتِ بَعْدَ أَنْ نَالَهَا الأَذَى مِنْ أَصْحَابِهَا . . . عِنْدَئِذٍ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَتَحَمَّلَ التَّفْكِيرَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ ، ودَسَّتْ يَدَهَا فى جَيْبِهَا بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ ، وأَخرَجَتْهَا وهِىَ تَقُولُ لِلمَرْأَةِ المِسْكِينَةِ : « خُذِى هٰذَا الدِّينَارَ الذَّهَبِىَّ أَيَّتُهَا الخَالَةُ الطَّيِّبَةُ » .

وتَنَاوَلَتِ السَّيِّدَةُ العَجُوزُ الدِّينَارَ الذَّهَبِىَّ ، وقَدِ ارتَسَمَتْ عَلَى شَفَتَيْهَا ابْتِسَامَةٌ سَعِيدَةٌ وقَالَتْ : « أَشْكُرُكِ يَا لَيْلَيَة . لابُدَّ أَنْ يَجْنِىَ الإِنْسَانُ ثَمَرَةَ أَعْمَالِهِ الطَّيِّبَةِ » . ثُمَّ وَضَعَتْ يَدَهَا بِرِقَّةٍ عَلَى عَيْنَىِ الفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ ، وعِنْدَمَا رَفَعَتْ يَدَهَا ، أَطْلَقَتْ لِيْلِيَةُ صَيْحَةَ دَهْشَةٍ عَالِيَةً !

* * *





فى مَكَانِ السَّيِّدةِ العَجوزِ ، كَانَتْ تَقِفُ فَتاةٌ حُلوةٌ تَرتَدِى ثَوباً سُنْدُسيّاً أَخْضَرَ ، وشَعرُهَا الذَّهَبِىُّ البَدِيعُ يُنْسابُ عَلَى كَتِفَيْهَا الرَّشِيقَيْنِ ، وعَلَى رَأْسِهَا تاجٌ يَتلألأُ ذُو أَلْوانٍ خلاَّبةٍ ، وَلَهَا زَوْجٌ مِنَ الأَجْنحَةِ الذَّهَبِيَّةِ اللاَّمِعَةِ . وإلَى يَمِينِهَا وَقَفَتْ فَتاةٌ أُخرَى ، ولَكِنَّها تَرْتَدِى ثَوباً أَزْرَق ، يُشْبِهُ فى لَوْنِهِ وجَمَالِهِ زُرْقَةَ السَّمَاءِ ، وأَجْنِحَتُهَا مِنَ الفِضَّةِ الخَالِصَةِ . وَوَقَفتْ حَسْناءُ ثَالِثَةٌ عَلَى الْجَانِبِ الآخَرِ ، وبَدَتْ أَجْنِحَتُهَا مُزَيَّنةً بِقَطراتٍ مُضِيئةٍ مِنَ النَّدَى ، وَلَونُ ثَوْبِهَا كَوردَةٍ مُتَفتِّحَةٍ حمراءَ .

وقَالَتِ الحَسَناءُ ذَاتُ الرِّدَاءِ الأَزْرَقِ : « لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ . . . لَقَدْ أَتَينا مِنْ أَرْضِ الحُورِيَّاتِ لِكَىْ نُكافِئَكِ عَلَى الدَّنانِيرِ الذَّهَبِيَّةِ الَّتِى أَعطَيْتِها لَنا . لَقَدْ أَرَدْتُ-أَنا وأُخْتَاى-أَنْ نَعرِفَ مَا إِذَا كُنْتِ تَمْلِكِينَ قَلْباً طَيِّباً شَفِيقاً ، مِثْلَمَا تَمْلِكِينَ قَلْباً يَجْعَلُكِ تُخْلِصِينَ فى أَدَاءِ عَمَلِكِ وتَقُومِينَ بِهِ عَلَى خَيْرِ وَجْهٍ ، وقَدْ وَجَدْنَا أَنَّكِ كَذَلِكَ فعلاً ، إِذْ أَنَّكِ قَدْ مَنَحْتِ هَدَايَا الحُورِيَّاتِ الغَالِيَةَ لِمَنِ اعْتَقَدْتِ أَنَّهُنَّ أَكْثرُ مِنْكِ حَاجَةً إِلَيْهَا . الآنَ يَجِبُ أَنْ أُخْبِرَكِ أَنَّ الدَّنانِيرَ الذَّهَبِيَّةَ الثَّلاثَةَ الَّتِى أَنفَقْتِهَا شَفَقَةً وإِحْسَاناً ، سَتَمْنَحُكِ فى مُقَابِلِها الحَقَّ فى إِبداءِ ثَلاثِ رَغَباتٍ ، وبِذَلِكَ تَتَحَقَّقُ لَكِ أَفْضَلُ أَمَانِيكِ » .



وابتَسَمت الحَسَناءُ ذَاتُ الرِّدَاءِ الأَخْضَرِ وقَالَتْ : « هيَّا . . أَخْبرِينَا أَيَّتُها الابنَةُ العَزِيزَةُ ، إنِّى السَّيِّدةُ العَجُوزُ الَّتى أَعْطيْتِها دِينَارَكِ الذَّهبىَّ الأَخير . أَخْبرِينِى بِرَغبَتِكِ الأُولَى » .

وفى بَادِئِ الأَمْرِ لَمْ تَستَطِعْ لِيْلبَةُ أَنْ تَتكَلَّمَ ، فَقَدْ عَقَدتْ الدَّهْشَةُ لِسَانَهَا . . وَلَكِنَّها صَاحَتْ أَخيراً : « أَرْجُوكِ . . إِنَّ أُولَى رَغَباتى أَنْ تَعِيشَ جدَّتِى الحَبِيبَةُ فى مَنْزِلٍ جَمِيلٍ ، بَدَلاً مِنْ كُوخِهَا الْقَدِيمِ الضَّيِّقِ المُظْلِمِ المُتَهدِّمِ » .

وابتَسَمتِ الحُورِيَّة ثانِيةً وقَالَتْ : « سأُلَبِّى طَلَبكِ فَوراً يا عَزيزَتِى ، خَاصَّةً أَنَّك بَدَلاً مِنْ أَنْ تُفكِّرِى فى نَفسِكِ ، تَذَكَّرتِ جَدَّتكِ » .

ثُمَّ تَقدَّمتِ الحَسنَاءُ ذَاتُ الرِّدَاءِ الأَزرقِ إِلى الأَمَامِ وَقَالَتْ : « إِنَّى يَا لِيْلبَةُ ، المَرْأَةُ الفَقِيرَةُ الَّتى أَعْطَيْتِها دِينَارَكِ الذَّهبىَّ الثَّانى ، مَا الَّذِى تُرِيدِينَ أَنْ أُقدِّمَه إِلَيْكِ ؟ » .

قَالَتْ لِيْلبَةُ الصَّغِيرةُ : « أُرِيدُ أَنْ تَنَالَ جَدَّتِى كُلَّ شَىْءٍ تَطْلُبه ، وأَلاَّ تُعانِى مِنَ الفَقْرِ بَقيَّةَ حَيَاتِها » .

وقَالَتِ الحُورِيَّةُ الثَّانِيةُ : « وهٰذِه الأُمْنِيةُ أَيْضاً سأُحَقِّقُها لَكِ يَا فَتاتِى الصَّغِيرَة . فَقَدْ آثَرْتِ الآخَرِينَ عَلَى نَفْسِكِ » .

وجَاءَ الآنَ دَوْرُ الحُورِيَّةِ ذَاتِ الرِّدَاءِ الوَرْدِىِّ الجَمِيلِ ، فَتقَدَّمتْ إِلى



لِبْلِبَةَ ، وتَنَاوَلتْ يدَهَا ، وقَالَتْ لَهَا وهى تَضْحَكُ فى مَرحٍ : « عزيزَتى لِبْلِبَة ، إنَّ الصَّبيَّةَ الصَّغِيرَةَ الَّتى أَعْطَيْتِهَا أَولَ دَنَانِيركِ تُرِيدُ أَنْ تمنَحكِ هديَّةً مُكَافَأَةً لَكِ عَلَى عطفِكِ عَلَيْهَا . أَخبِرينى بِأُمْنِيَّتِكِ الأَخيرَةِ ، فَقَدْ كُنْتُ أَنَا تِلْكَ الصَّبِيَّة » .

انتظَرتْ لِبْلِبَةُ فترَةً طوِيلَةً قَبْلَ أَنْ تتكلَّمَ ، ثُمَّ قَالَتْ أَخِيراً فى حَياءٍ



شَدِيدٍ : « أُرِيدُ أَنْ أَجِدَ دِينَاراً ذَهَبِيًّا فى حِذَائى كُلَّ صَبَاحٍ طَوالَ حَيَاتى » .

وصَفَّقتِ الحُورِيَّاتُ الثَّلاثُ بِأَيْدِيهِنَّ الجَمِيلَةِ فى مَرَحٍ ، وهُنَّ يَصِحْنَ فى إِعْجَابٍ : « هٰذِهِ أُمْنِيةٌ حَكِيمَةٌ » .

ثُمَّ قَالَتِ الحُورِيَّةُ ذَاتُ الرِّدَاءِ الوَرْدِىِّ : « لابُدَّ أَنْ أُحقِّقَ لَكِ أُمنِيَّتك يَا لِبْلِبَة ، لأَنَّنِى وَاثِقَةٌ أَنَّكِ لَنْ تُنْفِقِى دَنَانِيرَكِ الذَّهَبِيَّةَ عَلَى نَفْسِكِ فَقَطْ ، بَلْ عَلَى الْفُقَرَاءِ أَيْضاً » . ثُمَّ قَبَّلتْ وَجْنَتَىْ لِبْلِبَةَ .

وفى اللَّحظَةِ التَّالِيةِ ، بَرَقَ وَمِيضٌ لامِعٌ مِنْ أَجْنِحَتِهِنَّ ، اخْتفتِ الحُورِيَّاتُ الثَّلاثُ عَلَى أَثَرِهِ ، تَارِكَاتٍ لِبْلِبَةَ المُخْلِصَة فى المَطْبَخِ ، وهىَ فى أَشَدِّ حَالاَتِ الدَّهْشَةِ مِمَّا رَأَتْ .

كَانَ اليَومُ التَّالى أَسْعَدَ أَيَّامِ حَيَاة لِبْلِبَةَ . لَقَدْ وَجَدَتْ عِنْدَمَا استَيْقَظَتْ دِينَاراً ذَهَبِيًّا يَلْمعُ فى حِذَائِهَا ، فَقَالَتْ لِنَفْسِهَا فى ابْتِهَاجٍ : « إِذَنْ فَقَدْ تَحقَّقَتْ واحِدَةٌ مِنَ الأَمَانِى . . . »

وخِلاَلَ النَّهَارِ ، سَمَحَتْ لَهَا سَيِّدَتُها بِالذِّهَابِ لِرُؤْيَةِ جَدَّتِها . وسرْعانَ مَا رَحَلَتْ وقَدْ امتَلأَتْ بَهْجَةً وسُرُوراً .

ولَكِنْ عِنْدَمَا اقتَرَبَتْ مِن المَكَانِ الَّذِى اعتَادتْ أَنْ تَجِدَ فِيهِ كُوخَ جَدَّتِهَا ، تَوَقَّفَتْ فَجْأَةً وقَدْ غَمرَتْهَا الدَّهْشَةُ : فَبدَلاً مِنْ أَنْ تُشَاهِدَ الكُوخَ القَبِيحَ بِحَوائِطِهِ المُتَهالِكَةِ ، رَأَتْ مَنْزِلاً أَنِيقاً جَمِيلاً مُكَوَّناً مِنْ طَابِقَينِ ، قَدْ

أَحَاطَتْ بِهِ حَدِيقَةٌ غَنَّاءُ مُزْدَانَةٌ بالأشْجَارِ المُورِقَةِ الخَضْرَاءِ ، ورُصَّتْ عَلَى نَوافِذِهِ أُصُصٌ بَدِيعَةٌ لَطِيفَةُ الشَّكْلِ ، مَمْلُوءَةٌ بِالْورودِ ذَاتِ الرَّائِحَةِ الذَّكِيَّةِ .

وهُنَاكَ وَجَدَتْ جدَّتَهَا تَنتظِرُهَا وَاقِفَةً عَلَى بَابِ الْمَنْزِلِ ، مُرْتَدِيَةً ثَوْباً جَدِيداً جَمِيلاً .

ومَا إِنْ شَاهَدتِ الجَدَّةُ لِبْلِبَةَ ، حَتَّى أطْلَقَتْ صَيْحَةً وهَتَفَتْ : « لِبْلِبَة . . . ! ! لِبْلِبَة . . . ! ! انْظرِى هَذَا المَنْزِلَ الَّذِى أَعْطَتْهُ إِيَّاىَ الحُورِيَّاتُ أَخِيراً ! إِنَّهُ بِفَضْلِ إِخْلاصِكِ وَصَفَاءِ قَلْبِكِ » .

لَقَدْ تَحَقَّقَتْ أُمْنِيَةُ لِبْلِبَةَ الأولى ، وقَادَتْهَا جَدَّتُهَا دَاخِلَ المَنْزِلِ وأَرَتْهَا كُلَّ شَىءٍ ، وقَدْ بَدَا عَلَيْهَا الفَخْرُ والرِّضَا .

كَانَ هُنَاكَ بِسَاطٌ جَمِيلٌ يُغَطِّى الأَرْضَ ، وعِدَّة مَقَاعِدَ أَنِيقَةٍ مُرِيحَةٍ ، ومنضَدةٌ دَقِيقَةُ الصُّنْعِ ، كَذلِكَ شَاهَدَتْ كَمِّيَاتٍ مِن كلِّ أَنْواعِ الطَّعَامِ الجَيِّدِ فى مَخْزَنِ الأَطْعِمَةِ .

وفى الطَّابَقِ التَّالى شَاهَدَتْ لِبْلِبَةُ غُرْفَتَيْنِ جَمِيلَتَيْنِ للنَّومِ ، بِكُلٍّ مِنْهُما سَرِيرٌ أَبْيضُ فَصَاحَتْ : « الآنَ أَستَطِيعُ أَنْ أَعِيشَ هُنَا عَلَى الدَّوامِ يَا جَدَّتى العَزِيزَة . لَقدْ أصْبحَ لَدَيْكِ كُلُّ ما تَحتاجِينَ إليه ، كَمَا أَنَّنى سَأَحْصلُ عَلَى دِينَارٍ ذَهَبِىٍّ كُلَّ صَباحٍ ، وبِذلِكَ يَكُونُ لَدَيْنا ما يَكْفِينَا حَقًّا » .



وهكذا أَصْبَحَتْ لِبْلِبَةُ فى غَيْرِ حَاجَةٍ إلى العَمَلِ مَعَ نَاعِسَةَ وَجَمِيلَةَ ، وتَرَكَتْ مَنْزِلَ السَّيِّد والسَّيِّدَةِ بَعْدَ أَنْ حَصَلَتْ مِنْهُا عَلَى مُكَافَأَةٍ كَبِيرَةٍ ، وذَهَبَتْ لِتَعِيشَ فى المَنْزِلِ الأَبيَضِ الصَّغِيرِ ، حَيْثُ تُعْنَى بِشُئُونِ جَدَّتِهَا . وعَاشَتْ هِىَ وَجَدَتُهَا فى سَعَادَةٍ مُتَّصِلَةٍ دائِمَةٍ .

* * *

أَمَّا نَاعِسَةُ وجَمِيلَةُ ، فَقَدْ وَجَدَتَا أَنَّ العَمَلَ أَصْبَحَ شَدِيدَ المَشَقَّةِ عَلَيهِمَا عِنْدَمَا تَرَكَتْهُمَا لِبْلِبَةُ الصَّغِيرَةُ ، الَّتى كَانَتْ تَقُومُ بِالقِسْطِ الأَكْبَرِ مِنَ الْعَمَلِ .

وَلَكِنَّ ضَرَبَاتِ وَوَخَزَاتِ الحُورِيَّاتِ قَدْ عَلَّمَتْهُمَا دَرْساً لَنْ تَنْسَيَاهُ ، فَلَمْ تَعُودَا إِلَى كَسَلِهِمَا مَرَّةً أُخرَى .



أسئلة في القصة

١ -- كانت ناعسة تشبه جميلة في شيء ، وتختلف عنها في أشياء . اذكر وجه الشبه ، وموضع الاختلاف .

٢ -- كيف كانت لِبْلبة سبباً في عدم طرد ناعسة وجميلة من خدمة سيدتهن ؟

٣ -- اذكر أهم الصفات التي ميّزت لبلبة عن زميلتيها .

٤ -- ماذا كانت أماني لبلبة الصغيرة في الحياة ؟

٥ -- من التي قامت بأكبر نصيب من العمل يوم الوليمة ؟

٦ -- ماذا حدث للفتيات الثلاث ليلة الوليمة ؟ .

٧ -- « أنا واثقة أن الحوريات قد كافأت لبلبة الصغيرة » . . من قالت هذه العبارة ؟ ومتى قالتها ؟

٨ – لمن أعطت لبلبة دينارها الأول ؟ ولماذا أعطته ؟

٩ – كيف استقبلت زميلتا لبلبة خبر إنفاقها دينارها الأول ؟

١٠ – كيف أنفقت لبلبة دينارها الثانى ؟

١١ – « إننى لا أملك فَلْساً واحداً فى هذه الدنيا يا صغيرتى » . من قالت هذه العبارة ؟ ولمن قالتها ؟

١٢ – ماذا حدث عندما منحت لبلبة دينارها الثالث السيدة الطاعنة فى السن ؟

١٣ – ماذا كانت أولى رِغبات لبلبة من الحوريات ؟

١٤ – « أود أن تنال جدتى كل شىء تطلبه » . لمن قالت لبلبة هذه العبارة ؟

١٥ – كيف تحققت أولى أمانى لبلبة ؟

١٦ – ما الذى تستفيده من هذه القصة ؟

١٧ – اكتب ملخصاً لهذه القصة فى ثلاث صفحات من إنشائك .